المستطرف

من أخبار الجواري

لشيخنا خاتمة الحفاظ والمحدثين

جلال الدين السيوطي الشافعي

الناشر

شركة نوابغ الفكر

شركة نوابغ الفكر ، القاهرة

البريد الالكتزونى :

Nawabgh_elfakr@hotmail.com

هاتف: 25936402

فاكس: 27865553

فهرست الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية :

السيوطى، عبد الرحمن بن ابى بكر بن محمد ، 1445-1505

المستظرف من اخبار الجوارى

تأليف : جلال الدين السيوطى

ط-1 القاهرة : شركة نوابغ الفكر.2014

عدد الصفحات :

1-المراة -تراجم

2-الشعر العربى -تاريخ-العصر العباسى

ا-العنوان

رقم الايداع :2014/14699

- الترقيم الدولي:978-977-6415-24-9

الحمد لله وسلامٌ على عباده الذين اصطفى.

هذا جزء سميته «المستظرف من أخبار الجوارى»

١

إسحاق الأندلسية(*)

قال حافظ محب الدين بن النجار فى «تاريخ بغداد»:

جارية مولدة كانت للمتوكل، فولدت له المؤيد إبراهيم، والموفق أبا أحمد. ماتت ببغداد فى جمادى الآخرة سنة ٢٧٢ (١).

وقال أبو أحمد يحيى بن على بن المنجم يعزى ولدها الموفق:

عزاء فإن الدهر يعطى ويسلب ... وصبراً فللدنيا صروف تقلب

وما جازع إلا كآخر صابر ... إذا لم يكن عما(٢) قضى الله مذهب

على أنه لا يملك القلب لوعة الـ ... ـفراق كما لا تملك العين تسكب

إذا كان سهم الموت لابد صائبًا ... فللصبر أولى بالكريم وأصوب

إلى أن قال:

لقد أظلمت بغداد عند وفاتها ... كإظلامها للشمس ساعة تغرب

فولت وولى الحمد يتبع نعشها ... ويصدق من يثنى عليها ويندب

وما مات من أبقى الأمير ومن له ... من الفضل ما يعزى إليها وينسب

تقدمها إياك بعد بلوغها المنى ... فيك ما كانت من الله تطلب

(*) انظر: نساء الخلفاء ص ٨٢.

(١) فى نساء الخلفاء: سنة ٢٧٠ (ص ٨٢).

(٢) فى نساء الخلفاء: «مما».

فقد أعطيت فى ذا وذالك سؤلها وباتت كما بات الحيا التحلب

فأحسن عزاء وابق فينا مسلمًا

مفدى من [الأسواء ترجى وترهب][1]

(١) الزيادة من نساء الخلفاء ص ٨٤. وفى الأصل بياض.

٢

بنان جارية المتوكل(*)

كانت شاعرة. ذكرها أبو الفرج الأصبهانى وقال: أخبرنى جعفر بن قدامة، حدثنى يحيى بن على المنجم، حدثنى الفضل ابن العباس الهاشمى، حدثتنى بُنان الشاعرة قالت:

خرج المتوكل يومًا فمشى فى صحن القصر وهو متكىء على يدى ويد فضل الشاعرة. ثم أنشد قول الشاعر:

تعلمت أسباب الرضى خوف هجرها

وعلمها حبى لها كيف تغضب(١)

ثم قال: أجيزى هذا البيت. فقالت فضل:

يصد وأدنو بالمروءة جاهداً ويبعد عنى بالوصال وأقرب(٢)

فقلت:

وعندى لها العتبى على كل حالة فما منه لى بد ولا عنه مذهب(٣)

(*) نساء الخلفاء ٩١. وهى مضبوطة فى أصلنا بالضم؛ أعلام النساء ١ - ١٤٨.

(١) فى نساء الخلفاء «تعتب».

(٢) فى نساء الخلفاء «بالمودة» وهى أحسن.

(٣) فى نساء الخلفاء «مهرب».

٣

بدعة الكبيرة(*)

جارية عريب مولاة المأمون.

قال ابن النجار فى «تاريخ بغداد»، وابن الطراح فى كتاب «النساء الشواعر»؛ ذكر أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب «الإماء الشواعر» أنها كانت أحسن دهرها وجهًا وغناءً، وكانت تقول شعرًا لينًا يستحسن من مثلها.

وذكر ثابت بن سنان أن إسحاق بن أيوب التغلبى بذل فيها لعريب مولاتها مئة ألف دينار على يد أبى الحسن على بن يحيى بن المنجم، ولسفارته فى ذلك عشرين ألف دينار. فلما خاطب على بن يحيى عريبًا فى ذلك دعت بدعة وعرفتها إياه، وسألتها هل تختار البيع؟ فعرفتها أنها لا تختاره. فردت المال وأعتقتها من وقتها.

وقال أبو الفرج الأصبهانى: حدثنى عرفة وكيل بدعة قال: لما قدم المعتضد من الشام دخلت إليه بدعة فقال لها: يا بدعة! أما ترين الشيب قد اشتعل فى لحيتى ورأسى؟

فقالت: يا سيدى! عمرك الله حتى ترى ولد ولدك قد شابوا. فأنت والله فى الشيب أحسن من القمر.

وفكرت طويلاً حتى قالت هذه الأبيات وغنت بها:

(*) نساء الخلفاء ص ٦٣؛ أعلام النساء ١ - ١٢٣.

ما ضرك الشيب شيئًا ... بل زدت فيه جمالا

قد هذبتك الليالى ... وزدت فيه كمالا

فعش لنا فى سرور ... وانعم بعيشك بالا

تزيد فى كل يوم ... وليلة إقبالا

فى نعمة وسرور ... ودولة تتعالى

فوصلها ذلك اليوم صلة سنية.

وقالت فيه أيضًا:

إن تكن شبت يا مليك البرايا ... لأمور عانيتها[1] وخطوب

فلقد زادك المشيب جمالا ... والمشيب البادى كمال الديب

فابق أضعاف ما مضى لك فى عز ... وملك وخفض عيش وطيب[2]

ماتت لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاث مئة[2].

ومن شعر بدعة ما كتبت به إلى إسحاق بن أيوب التغلبى أورده أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب «الإماء الشواعر»:

كيف أصبحت سيدى وأميرى ... عشت فى ظل نعمة وحبور

علم الله كيف كان اغتباطى ... ونعيمى وبهجتى وسرورى

بلقاء الأمير لا عدمت نفسى ... وعينى لقاءه من أمير

---

(١) ص «عاتبتها».

(٢) فى الكامل لابن الأثير (٨ - ١٦٨) أنها ماتت فى ذى القعدة سنة ٣٤٢هـ ولعل كلمة «وأربعين» سقطت من الناسخ سهوًا.

قال: فكتب إليها فى الجواب:

أنا فى نعمة بقربك تفديك ... حياتى من مفظعات الأمور

بلغت مهجتى بقربك منى ... أملى كله وتم سرورى

وصل الله بيننا ذاك ما عشـ ... ـنا وأبقاك لى بقاء الدهور

وقال ابن الرومى فى بدعة هذه:

بدعة عندى كاسمها بدعة ... لا شك فى ذاك ولا خدعة

كأنما رقة مسموعها ... رقة شكوى سبقت دمعة

تحسن فى البدء ولكنما ... أحسن من بدأتها الرجعة

كأنما غنت لشمس الضحى ... فألبستها حسنها خلعة

غنت فلم تحوج إلى زامر ... هل تحوج الشمس إلى شمعة؟

٤

بنفشا الرومية مولاة المستضىء بالله(*)

كانت صالحة كثيرة الخير.

قال ابن النجار: سمعت أنها كانت فى عيد الفطر كل سنة تخرج زكاة الفطر صاعًا من تمر ثم تقول: هذا ما فرضه على الشرع، وأنا لا أقنع من مثلى بذلك. فتخرج صاعًا من الذهب العين وتأمر بتفرقته على الفقراء.

ماتت يوم الجمعة تاسع عشرى ربيع الأول سنة ٥٩٨.

(*) نساء الخلفاء ص ١١١.

(١) هو المستضىء بأمر الله العباسى، أمه أرمنية اسمها غَضَة، ولى الخلافة سنة ٥٦٦ـ ومات فى سنة ٥٧٥ (انظر تاريخ الخلفاء ص ٤٤٤).

٥

تيماء جارية أبى العباس خزيمة بن خازم النهشلى(*)

قال ابن الطراح: شاعرة محسنة من مولدات المدينة. ذكرها أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب «الإماء الشواعر». وروى بسنده عن محمد بن سعيد الخطيب أنها كتبت إلى مولاها وقد خرج إلى الشام:

تفديك تيماء من سوء تحاذره ... فأنت مهجتها والسمع والبصر

لئن رحلت لقد أبقيت[1] لى حزنًا ... لم يبق لى معه فى لذة وطر

فهل تذكرت عهدى فى المغيب كما ... قد شفنى الهم والأحزان والفكر

وقالت ترثى سيدها:

إن أبا العباس خدن العلى ... خزيمة اليأس فتى الجود

والمتلف المخلف رب الندى ... أودى فما جود بموجود

لئن حواه القبر ميتا فقد ... تضيق عنه سعة البيد

كأنه لم يغن يوما ولم ... يعد على الشم الصناديد

ولم يغل الحظب فى مأزق[2] ... ضنك بقلب غير مزوود

كم فرقت آراؤه جحفلا ... وبددته أى تبديد

(*) أعلام النساء ١ - ١٨٠.

(١) ص «ابنيت».

(٢) ص «مارق».

٦

تتريف جارية المأمون(*)

قال ابن الطراح: كانت من مولدات البصرة بارعة الحسن والجمال، بديعة الظرف، موصوفة بالكمال. وكانت تقول الشعر. فوصفت للمأمون فاشتراها، فوقعت بقلبه وأنزلها فى منزلة عريب ومؤسة، وقدمها على سائر حظاياه. ولما مات المأمون وفت له وقصرت نفسها على البكاء عليه، واشتد نزعها وأقبلت ترثيه وتنوح عليه وتبكيه حتى ماتت.

ومن شعرها فى ذلك:

يا ملكًا لست بناسيه ... نعى إلى العيش ناعيه

والله ما كنت أرى أننى ... أقوم فى الباكين أبكيه

والله لو يقبل فيه الفدا ... لكنت بالمهجة أفديه

عاذلتى فى جذعى أقصرى ... قد علق الرهن بما فيه

وقالت:

إن الزمان سقانا من مرارته ... بعد الحلاوة أنفاسًا فأروانا

أبدى لنا تارة منه فأضحكنا ... ثم انثنى تارة أخرى فأبكانا

نا إلى الله فيما لا يزال لنا ... من القضاء ومن تلوين دنيانا

دنيا نراها ترينا من تصرفها ... ما لا يدوم مصافاة وأحزانا

ونحن فيها كأنا لا نزايلها ... للعيش أحياؤنا يتلون موتانا

(*) أعلام النساء ١ - ١٧٢ وأورد اسمها «تزيف» نقلاً عن مخطوطة الظاهرية من المستظرف هذا. وهو خطأ.

٧

ثواب

روى ابن الطراح عن ابن الجوزى قال: أخبرنا ابن الجواليقى قال: كانت بالمدينة شاعرة يقال لها ثوب. وكانت تهوى مملوكًا روميًا لمولاها يسمى زهرًا. فظهر عليهما، فخاف زهر فانقطع عنها. فكتبت إليه من شعرها:

ولما أبى العـــذال إلا فـــراقنا ... ومـا لهم عنـدى وعندك من ثار[1]

وسـد على أبصـارنـا كل منظر[2] ... وقلت حُـماتى عند ذاك وأنصـارى

غزوتهم[3] من مـقلتيك وأدمعى ... ومن نفسى بالسيف والسيل والنار

---

(١) وردت هذه الأبيـات فى الإحاطة (١ - ٤٩٨) منسـوبة لحـمدة الوادى آشـية، وكـذا فى المقتـضب، والنفح، والمغرب لابن سعيـد، ونزهة الجلساء للسيـوطى. وفى هذه المصادر «ولما أبى الواشون»، وفى الإحاطة «الا قتالنا».

(٢) فى الإحاطة ونزهة الجلساء «وشنّوا على آذاننا كل غارة».

(٣) فى الإحاطة «رميتهم»، وروايتنا توافق ما فى المغرب والنفح.

٨

حسناء جارية يحيى بن خالد البرمكى(*)

قال الزجاجى فى أماليه: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن، أنا أبو حاتم، عن الأصمعى قال: دخل بعض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكى وبين يديه جارية يقال لها حسناء، وكانت شاعرة ظريفة. فقال: اعبث بها. فأنشأ يقول:

حسناء يا حسناء حتى متى ... يرتفع الناس وأنحط[1]

قد صرت نضواً فى فراش الهوى ... كأننى من فوقه خط

فقالت حسناء:

وكيف منجاى وقد حف بى ... بحر هوى ليس له شط

يدركك الوصل فتنجو به ... أو يقع الهجر فتنغط

(*) أعلام النساء ١ - ٢٦٢.

(١) ص «وتنحط».

٩

حيش مولاة الأحنف

قال ابن النجار: روى عنها أبو بكر المبارك بن كامل الخفاف فى كتاب «سلوة الأحزان» أنها أنشدته:

ساروا بقلبى وأودعوا شجنًا ... أهل المطايا وأوحشوا الوطنا

يا دار فيك الحبيب أم ظعنا ... أين الذى فيك كان لى سكنا؟

أجابت الدار وهى باكية ... وآحربا صرت للضبا وطنا

ناديت حاديهم وقد رحل الركب ... أقيما وأعقلا البدنا

أجابتى والدموع جارية ... من ذا قتيل الفراق؟ قلت: أنا

١٠

حسن جارية الإمام أحمد بن حنبل(*)

اشتراها بعد زوجته أم عبد الله، وولدت منه خمسة أولاد: زينب، والحسن، والحسين، ومحمد، وسعيد. وروت عن مولاها مسائ كثيرة.

قال أبو بكر الخلال: انبأ محمد بن على قال: سمعت حسن أم ولد أبى عبد الله تقول: جاءتنى امرأة من جيراننا فقالت: قد جمعت مالاً من الغلف، تعنى أنها ماشطة وأريد أن أحج. فقال أبو عبد الله: لا يُحج به، ليس هاهنا أحل من الغزل.

(*) أعلام النساء ١ - ٢٥٨.

١١

خزامى جارية المقين(*)

قال أسامة بن مرشد بن منقذ فى «أخبار النساء»: كانت شاعرة ظريفة كتب إليها عبد الله بن المعتز:

رأيتك قد أظهرت زهدا وتوبة ... فقد سمجت من بعد توبتك الخمر

فأهديت وردًا كى يذكر عيشة ... لمن لم يمتعنا ببهجتها[1] الدهر

فأجابته بهذه الأبيات:

أتانى قريض يا أميرى محبر ... حكى لى نظم الدر فصل بالشذر

أأنكرت يا ابن الأكرمين إبتى ... وقد أفصحت لى ألسن الدهر بالزجر

وأدبنى[2] شرخ الشباب ببينه ... فيا ليت شعرى بعد ذلك ما عذرى

(*) ورد خبرها فى الأغانى (دار الكتب) ١٠ - ٢٨٤. وفيه أنها خزامى جارية الضبط المغنى. والخبر هناك، وأعلام النساء ١ - ٣٥٠.

(١) ص «ببهجتنا» خطأ.

(٢) فى الأغانى «وآذننى».

١٢

خليدة السوداء(*)

فتاة ابن شماس المكية.

فيها يقول الشاعر:

فتنت كاتب الأمير رياحا يا لقومى خليدة المكية

أخذت الغناء عن ابن سريح ومعبد ومالك. بعث إليها محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أبا عون مولاه يخطبها عليه فدخل وعليها ثياب رقاق لا تسترها. فنهضت وقالت: إنما ظننتك بعض سفهائنا، ولكن أليس إليك ثياب مثلك. ففعلت، وقالت: ما حاجتك؟ فقال: أرسلنى. . .[1] وهو من تعلمين يخطبك.

فقالت: قد نسبته فأبلغت، فاسمع: حسبى أن أبى بيع على غير عقد الإسلام ولا عهده، فعاش عبدًا ومات وفى رجله قيد على الإباق والسرقة، وولدتنى أمى منه على غير رشدة، وماتت وهى آبقة، وأنا من تعلم. فإن أراد صاحبك نكاحًا مباحًا أو زنًا صُراحًا فهلم إلينا، فنحن له.

فقال لها: إنه لا يدخل فى الحرام.

(*) أعلام النساء ١ - ٣٥٦. عن الأغانى ونهاية الأرب. وانظر الأغانى (دار الكتب) ٨ - ١٨٦، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٩.

(١) كلمة لم تظهر فى ص.

فقالت: ولا ينبغي أن يستحي من الحلال. وأما نكاح السر فلا والله لا فعلته أبداً ولا كنت عاراً على القيان.

فعاد أبو عون فأخبر مولاه بذلك فقال: ويلك أتزوجها معلنًا وعندى بنت طلحة بن عبيد الله؟ لا، ولكن ارجع إليها وقل لها: تختلف إلى لأردد بصرى فيها، لعلى أسلو.

فعاد إليها وأبلغها الرسالة، فضحكت وقالت: أما هذا فنعم، لسنا نمنعه منه.

١٣

خنساء جارية هشام النحوى(*)

فى الأغانى: عن أبى هريرة البصرى قال: كان أبو الشبل يعابث قينة كانت لهشام[١] النحوى الضرير يقال لها خنساء، وكانت تقول الشعر، فقالت له يومًا: أنا والله أشعر منك، ولئن شئت لأهجونك. فأقبل عليها فقال:

خنساء[٢] قد أفرطت علينا ... فليس منها لنا مجير

باهت[٣] بأشعارها علينا ... كأنما ناكها جرير

(*) طبقات الشعراء ص ٤٢٥، والأغانى (دار الكتب) ١٤ - ٢٠٢. والخبر فيه، وأعلام النساء ١ - ٣٧٢.

(١) فى الأغانى «هاشم النحوى».

(٢) فى الأغانى «حسناء» تصحيف.

(٣) فى الأغانى «تاهت».

١٤

الخيزران الجرشية(*)

مولاة المهدى وحبيبته، وأم ولديه موسى الهادى وهارون الرشيد.

رزقت من سعادة الدنيا ما لا يوصف. كان مغلها فى السنة مئتى ألف وستين ألفًا. وفيها يقول:

يا خيزران هناك ثم هناك　　أمسى يسوس العالمين ابناك

وإياها عنى بشار بن برد فى قوله(١):

خليفة يزنى بماته　　يلعب بالدبوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره　　ودس موسى فى حر الخيزران

ماتت سنة ثلاث وسبعين ومئة.

(*) أعلام النساء ١ - ٤٠٠. وذكر عنها مصادر كثيرة.

(١) انظر الخبر فى الأغانى (دار الكتب) ٣ - ٢٤٣.

١٥

دستان

فى تاريخ الصلاح الصفدى: استعـرض عبد الرحمن بن عيسى الكاتب يومًا جارية اسمها دستان، فسامـها صاحبها خمس مئة دينار، ولم يكن عنده ثمنها فقال:

يا صـاحبى صـبـا قلبى لدستـان ... لغادة[1] وجـهـها والـبدر سيـان

مـا دونهـا قـصـر يدمى أسنتـهـا ... إلا المصـاليت من أبـناء قـحطان

من كـان يملك ملء الكيس من ذهب ... زفت إليـه وكـيـسى غـيـر مـلآن

أشكو إلـى الله أنى ليس ينفـعـنى ... علم الخليل ولا نحـو ابن سـعـدان

فى أست أم علمى وآدابى وفلسـفتى ... ولو أحطـت بعلم الإنس والجـان

فوقعت هذه الأبيات إلى بكر بن عبـد العزيز بن أبى دلف العجلى أمير همذان فوقع تحتها:

يا من شكا وصـبـا وجدًا بـدستـان ... لو عف طرفـك لم يرجع بأحـزان

وليس يجزى لعمرى النحو ذا كلف ... ولا العـروض ولا أشـعار حـسـان

وقـد أمـرنا بما ينفى الصـدود ومـا ... يدنى النجـاح بما يهوى الشـجيـان

فـصـر إلى غـانم حـتى يوفـرها ... وأبشـر بجـائـزة أخـرى لدسـتـان

ثم وقع إلى غانم الوكـيل بإخراج خمـس مائة دينار إلى عبـد الرحمن لثمن دستان وبعشرة أثواب لها.

---

(١) ص «بغادة».

١٦

دقاق جارية يحيى بن ربيع(*)

كانت جميلة مغنية محسنة مشهورة بالظرف والمجون.

قال ابن حمدون(١): كتبت إلى أبى تصف هنها(٢) له صفة أعجزه الجواب [عنها] فأحضر من كتب إليها وصف متاعه فقطعها.

وقد سقته فى كتاب «نواضر الأيك».

ولما مات يحيى تزوجت بعده بجماعة من القواد والكتاب فماتوا فقال بعضهم يهجوها(٣):

قلت لما رأيت دار دقاق ... حسنها قد أضر بالعشاق

حذروا الرابع الشقى دقاقا ... لا يكونن نجمه فى محاق

أله عن بضعها فإن دقاقا ... شؤم حرها قد سار فى الآفاق

لم تضاجع بعلا فهب سليما ... بل جريحًا وجرحه غير راقى

(*) الأغانى (دار الكتب) ١٢ - ٢٨٢ وما بعدها.

(١) انظر الأغانى ١٢ - ٢٨٣، وفيه الوصف.

(٢) الهن: فرج المرأة، ومثله الحِرُ.

(٣) انظر الأغانى ١٢ - ٢٨٢، والشعر لعيسى بن زينب.

١٧

ذلفاء جارية ابن طرخان

دخل عليها أبو نواس ومروان بن أبى حفصة، فقال مولاها لمروان: يا أبا السمط! ألق عليها بيتًا تجيزه. فقال: تجيز قول جرير:

غيضن من عبراتهن وقلن لى ماذا القيت من الهوى ولقينا؟

فقالت: وكانت تشبب بالرشيد:

قد هجت بالبيت الذى أنشدتنى حبًّا بقلبى لا يزال دفينا

فقام أبو نواس عند ذلك ونشد:

عجيب من حماقة الذلفاء تشتهى فياشل الخلفاء

قال ابن أبى فنن: فأجزت أنا قول أبى نواس:

لو تشهيت غيره كان أولى من أيور الدناة والضعفاء

إن أولى الأمور عندى منالاً شهوات الأكفاء للأكفاء

١٨

دنانير جارية يحيى بن خالد البرمكى(*)

كانت لرجل من أهل المدينة أدبها وخرجها، وكانت أروى الناس للغناء القديم وللشعر. وكانت صفراء صادقة الملاحة من أحسن الناس وجهًا وأظرفهن وأحسنهن أدبًا. ولها «كتاب» مجرد فى الأغانى مشهور.

أخذت عن فليح وإبراهيم وابن جامع وإسحاق ونظرائهم. ولما رآها يحيى أخذت بقلبه فاشتراها. وكانت تأتى الرشيد فيسمعها، واشتد إعجابه بها، ووهب لها هبات سنية، منها أنه وهبها فى ليلة عيد عقدا قيمته ثلاثون ألف دينار، فرد عليه فى مصادرة البرامكة، وأصابتها العلة الكلبية فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة واحدة، وكان يحيى يتصدق عنها فى كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لأنها كانت لا تصومه. وفيه يقول أبو حفص إسحاق الشطرنجى:

أشبهك المسك وأشبهته ... فى كونه قايمة قاعدة(١)

لا شك إذ لونكما واحد ... أنكما من طينة واحدة

وفيها يقول عقيل(٢) الموصلى:

هذى دنانير تنسانى فأذكرها ... وكيف تنسى محبًا ليس ينساها

(*) انظر الأغانى ١٨/ ١٤ (ط. فراج)؛ وأعلام النساء ١ - ٤١٧.

(١) فى الأغانى (ج ١٨ / ص ١٩، ط. فراج) «قائمة فى لونه قاعدة».

(٢) ص «عقيد».

أعـوذ بالله من هـجـران جـارية أصبحت، من حبـها أهذى بذكراها

قد أكمل الحسن فى تركيب صورتها فـارتج أسـفلهـا واهتـز أعـلاها

قـامت تمشى فليـت الله صيـرنى ذاك التـراب الذى مسته رجـلاها

والله والله لو كـانـت، إذا برزت، نفس المتيم فى كـفـيـه ألقـاها

ودعا الرشيـد بها بعد قتل البـرامكة وأمرها أن تغنى. فقـالت: يا أمير المؤمنين إنى آليت أن لا أغنى بعـد سـيدى أبدًا، فـغضب وأمـر بصفـعهـا. فصفـعت وأقيمت على رجلها، وأعطيت العود فـأخذته وهى تبكى أحر بكاء واندفعت فغنت:

يا دار سلمـى بسـارح السند بين الـثنايـا ومـسـقط اللبـد

لمـا رأيت الـديار قـد درست أيقـنت أن الـنعـيـم لم يـعـد

فرق لها الرشيد وأمر بإطلاقها فانصرفت. ثم إن عقيدًا[1] مولى صالح ابن الرشيـد خطبهـا، فردته، فاسـتشفع بمولاه وغـيره، وكـتب إليها شـعرًا يستعطفها:

يا دنـانيـر قـد تـنكر عـقـلى وتحـيـرت بين وعـد ومطل

شـفـعى شـافـعـا إليك وإلا فـاقـتـلينى إن كنت تهـويـن قـتلى

أنا بـالله والأمـيـر ومـا آمـ ـل من مـوعـد الحـسين وبذل

فلم تجب وأقامت على الوفاء لمولاها إلى أن ماتت.

---

(١) ص «عقيدًا».

١٩

زرقاء جارية ابن رامين(*)

اشتراها فيما بعد جعفر بن سليمان بثمانين ألف درهم فعتبه أبوه فأخرجها له، فأكبت على رأسه فقبلته ودعت له. وكانت عاقلة مقبولة متكلمة، فأعجبه ما رزى منها فلم يعد يعاتبه.

قال سليمان الخشاب: رأيتها وهى عند ابن رامين وصيفة شال نهودها ثوبها عن صدرها. وغنت مرة بحضرة معن بن زائدة وروح بن حاتم وابن المقفع. فبعث معن إليها بدرة فصبها بين يديها، وبعث روح إليها أخرى فصبها، وبعث ابن المقفع فجاء بصك ضيعته فأعطاها.

وسألها جعفر يومًا: هل ظفر منك أحد ممن كان يهواك بخلوة أو قبلة؟

قالت: لا والله، إلا يزيد بن عون الصيرفى فإنه قبلنى قبلة وقذف فى فمى لؤلؤة بعتها بثلاثين ألف درهم(١). فضربه بالسياط حتى مات.

(*) انظر الأغانى (ط. فراج) ١٥ - ٤٦ وما بعدها.

(١) انظر القصة فى الأغانى ١٥ - ٥٢ (ط. فراج) وفيها أنه أعطاها لؤلؤتين.

٢٠

زمرد التركية أم الخليفة الناصر(*)

لها مدارس وربط وأوقاف.

ماتت سنة ٥٩٩.

(*) أعلام النساء ٢ - ٣٩؛ ذيل الروضتين سنة ٥٩٩.

٢١

سامر(*)

قال ياقوت فى «معجم الأدباء»: كـان إبراهيم بن العباس الصولى يهوى جارية لبعض المغنين بسـر من رأى يقال لها ساهر شهر بهـا ثم ملها. وكانت شاعرة، وكانت تهواه أيضًا. فكتبت إليه تعاتبه:

بالله يـا ناقـض العـهـود بمن ... بـعـدك مـن أهـل ودنا نـشـق

وآسـوأتا مـا اسـتـجـبت لى أبدًا ... إن ذكـر العـاشـقون من عـشـقـوا

لا غـرنـى كـاتب لـه أدب ... ولا ظـريف مـهـذب بـق

كنت بـذاك اللسـان مـحـتـلمى ... دهـرًا ولـم أدر أنـه مـلـق

فعاد إليها واعتذر.

(*) أعلام النساء ٢ - ١٤٤؛ وفى الأصل ساهر، وانظر الأغانى (دار الكتب) ١٠ - ٦٠.

٢٢

سكن جارية محمود الوراق(*)

قال ابن المعتز: حدثنى محمد بن إبراهيم بن ميمون قال: لما أراد محمود بيعها رفعت إلى المعتصم قصة تسأله أن يشتريها. فلما نظر فى قصتها خرقها ورمى بها، لأنه كان أراد مرة ابتياعها فأبت. فقالت سكن فى ذلك:

ما للرسول أتانى منك بالياس ... أحدثت بعد وداد[1] جفوة القاسى

فهبك ألزمتنى ذنبًا[2] بظلمك لى ... ماذا دعاك إلى تخريق قرطاسى

يا متبع الظلم ظلما كيف شئت فكن ... عندى رضاك على العينين والراس

إنى أحبك حبا لا لفاحشة ... والحب ليس به فى الله من باس

قل للمشارك فى اللذات صاحبها ... ومدمن الكاس تحييها مع الكاس

إن الإمام إذا أرفا إلى بلد ... رقى إليه لعمران وإيناس

أما ترى الغيث[3] قد جاءت أوائله ... والعود نضر الذرى مستورق كاسى

وأصبحت سر من را دار مملكة ... قطينها[4] بين أنهار وأغراس

يا غارس الآس والورد الجنى بها ... غرس الإمام خلاف الورد والآس

(*) طبقات الشعراء ص ٤٢٢.

(١) فى طبقات الشعراء «رجاء».

(٢) فى طبقات الشعراء «فهبك ألحقت بى ذنبًا...».

(٣) طبقات «الغرس».

(٤) طبقات «مختطة».

غـراسه كل عـات لا خـلاق له ... عبل الـذراع شديد الباس قـنعاس

كـبـابـك وأخـيـه إذ سـمـالـهـمـا ... بـاتر للشَّـوى فى الجـيـد خـلاس

فـذاك بالجـسر نصب للـعيـون وذا ... بسُر من راعلى سامى الذرى راسى

وهكذا لم يـزل فى الدهر نعـرفـه ... غـرس الخلائف مـن أولاد عبـاس

شقا عـصا الدين واغترا بجـهلهما ... بعصبة شهرت فى الحـرب بالباس

وحاولا القـدح فى حق الإمام ودو ... ن الملك قـد علمـا آذاد أخـيـاس

فى ظل مـعتقـد للحق[1] معـتصم ... بالله[2]، للأسـد غـلاب وفـراس

ودونه غـصص يشجـى العدو بهـا ... مـثـل المبـارك أفـشـين وأشناس

أمـا ترى بابكا فى الجـود منتصبـا ... على ملمـلمـة من صنعـة الفـاس

بين السـمـاء وبين الأرض مـنزله ... وقـائمًـا قـاعدًا جـسـمًـا بلا راس

---

(١) طبقات «للدين».

(٢) طبقات «بالحق».

٢٣

شارية المغنية(*)

مولدة من مولدات البصرة، اشتراها إسحاق الموصلي بثلاث مئة دينار، ثم اشتراها منه إبراهيم بن المهدي بذلك، ثم اشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار.

(*) أعلام النساء ٢ - ٢٨٠.

٢٤

شجاع أم الخليفة المتوكل(*)

كانت صالحة، ماتت بعد قتل ابنها فى ربيع الآخر سنة ٢٤٧، وصلى عليها ابن ابنها المنتصر.

(*) شذرات الذهب ٢ - ١١٧، وكانت وفاتها سنة ٢٤٨.

٢٥

شجر الدر(*)

جارية الملك الصالح نجم الدين أيوب.

كانت بارعة الجمال، ذات رأى وعقل. تسلطنت بمصر وخُطب لها على المنابر، فكان يقال بعد الدعاء للخليفة، واحفظ اللهم الجهة الصالحة ملكة المسلمين، نعمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية صاحبة السلطان الملك الصالح.

ووزر لها الصاحب بهاء الدين بن حنا.

وكانت تعلم على المناشير: والدة خليل.

ونُقش اسمها على الدرهم والدينار. فأرسل الخليفة المستعصم من بغداد يقول لأمراء مصر: إن كان ما بقى عندكم رجل فأرسلوا عرفونا نرسل لكم رجلا. فخُلعت بعد ثلاثة أشهر، وأقيم زوجها المعز أيبك، ثم غارت منه فقتلته، فقتلها مماليكه سنة ٦٥٥.

(*) أعلام النساء ٢ - ٢٨٦.

٢٦

ضعيفة(*)

جارية مغنية، اشتراها سليمان ابن الخليفة المنصور بخمسة آلاف دينار، فأخذها منه أخوه المهدى، فتبعتها نفسه وأكثر فيها من الأشعار واشتهر أمره فى شأنها، ومن شعره فيها:

رب إليك المشتكى ... ماذا لقيت من الخليفة

يسع البرية عدله ... ويضيق عنى فى ضعيفة

على الفؤاد بحبها ... كالجبر يعلق فى الصحيفة

لى قصة فى أخذها ... وخديعتى عنها ظريفة

(*) أعلام النساء ٢ - ٣٥٩.

٢٧

طاوس أم الخليفة المستنجد(*)

كانت دينة صالحة لها بر ومعروف.

ماتت سنة ٥٦٥.

(*) ذكر السيوطى فى أخبار الخلفاء أن طاوس كرجية. ولى المستنجد العباسى الخلافة سنة ٥٥٥ وتوفى سنة ٥٦٦. (تاريخ الخلفاء ص ٤٤٢).

٢٨

عريب المأمونية(*)

قال ابن النجار: قيل إنها ابنة جعفر البرمكى، لما نكبت البرامكة سرقت وهى صغيرة، فاشتراها الأمين، ثم اشتراها المون. وكانت شاعرة مجيدة ومغنية محسنة، ولغنائها ديوان مفرد.

قال إسحاق: ما رأيت امرأة قط أحسن وجهًا وأدبًا وغناءً وضربًا وشعرًا ولعبًا بالشطرنج من عريب، وما تشاء أن تجد خصلة ظريفة بارعة من امرأة إلا وجدتها فيها. ومن شعرها:

لا غـــرنـى بعـــدك إنســـان ... فـــقـــد بدت لـى منـك ألوان

وإن تغـيـــرت فـمـا حـيـلتى ... مـــالى عـلـى قـلـبك سـلـطـان

وقال أبو الفرج الأصبهانى: أخبرنى جعفر بن قدامة قال: حدثنى عبد الله بن المعتز قال: وقعت إلى رقاع لعريب فيها مكاتبات منثورة، ومنظومة، فقرأت رقعة منها إلى المأمون وقد خرج إلى فم الصلح لزفاف بوران.

أنعـم تخطـتك صـــروف الردى ... بقـــرب بوران مـــدى الـدهر

درة خـــدر لم يزل نجـمـهـا ... بنجم مـأمـون العـلى يجـرى

حـتى استـقـر الملك فى حـجـرها ... بورك فـى ذلك مـن حـجـر

ولدت سنة ١٨١، وماتت بسر من رأى فى ربيع الآخر سنة ٢٧٧.

(*) نساء الخلفاء ص ٥٥؛ طبقات الشعراء ص ٤٢٥؛ الأغانى ٢١ - ٥٨ (ط. فراج).

٢٩

عنان جارية الناطفى(*)

قال ابن النجار: كانت شاعرة ظريفة ولها أخبار مدونة.

وقال أبو الفرج الأصبهانى(١): كانت من مولدات اليمامة، وبها نشأت وتأدبت، وكانت صفراء جميلة [الوجه] حلوة، مليحة الأدب [والشعر]، سريعة البديهة. وكانت أول من اشتهر بقول الشعر فى الدولة العباسية وأفضل من عرف من طبقتها. وكان فحول الشعراء يعارضونها فتنتصف منهم.

قال أحمد بن معاوية قال لى رجل: تصفحت كتبا فوجدت فيها بيتًا جهدت جهدى [أن] أجد من يجيزه فلم أجد. فقال لى صديق: عليك بعنان جارية النطاف، [فأتيتها] فأنشدتها:

وما زال يشكو الحب حتى رأيته تنفس من أحشائه وتكلما

فلم تلبث أن قالت

ويبكى فأبكى رحمة لبكائه إذا ما بكى دمعًا بكيت له دمًا

وقال مروان بن أبى حفصة: لقينى الناطفى فدعانى إلى عنان فانطلقت معه فدخل إليها وقال لها: قد جئتك بأشعر الناس مروان بن أبى حفصة. فوجدها عليلة فقالت: إنى عنه لمشغولة. فأهوى إليها بسوطه وضربها، وقال لى: أدخل. فدخلت وهى تبكى، فرأيت الدمع يتحدر من عينيها فقلت:

(*) طبقات الشعراء ص ٤٢١؛ الأغانى ٢٢/ ٥٢١ (ط. فراج).

(١) انظر الأغانى ٢٢/ ٥٢١.

بكت عنان فجرير دمعها كالدر إذ يستن من خيطه

فقالت مسرعة:

فليت من يضربها ظالمًا تيبس[1] يمناه على سوطه

فقلت: أعتق مروان كل ما يملك إن كان فى الجن أو الإنس أشعر منك.

ودخل يومًا أبو نواس عليها وهى تبكى، وكان الناطفى ضربها، فأومأ الناطفى إلى أبى نواس أن يحركها بشىء فقال:

عنان لو جدت لى فإنى من عمرى بما آمن الرسول بما

يعنى فى آخر عمره لأن «آمن الرسول»[2] آخر آية فى البقرة.

فردت عليه عنان:

فإن تمادى ولا تماديت فى قطعك حبلى أكن كمن ختما

فرد عليها:

علقت من لو أتى على أنفس الـ ـماضين والغابرين ما ندما

فقالت مسرعة:

لو نظرت عينها[3] إلى حجر ولد فيه فتورها سقما

واجتمع بها أبو نواس يومًا فجعلت تطلب عثراته وتؤذيه، فتجشأ فى وجهها فقالت:

(١) فى الأغانى ٢٢/ ٥٢٤ «تجف».

(٢) الآية: «آمن الرسول بما أنزل إليه نم ربه».

(٣) نساء الخلفاء «عينه»، وروايتنا أصح.

يا نواسى يا نفاية خلق الله قد نلت بى سماءً وفخرا
مت إذا شئت قد ذكرتك فى الشعر وجرر أذيال ثوبك كبرا
رب ذى ضلة تنسم لقطك سلحًا ونال عزًا وشرا
ونديم قد سقاك كأسًا من الخمر فأفضلت فى الزجاجة جمرا
فإذا ما بدهتنى فاتق الله وعلق دونى على فيك سترا
وإذا ما أردت أن تحمد الله على ما أبلى وأولاك شكرا
فليكن ذاك بالضمير وبالإيماء لا تذكرن ربك جهرا
لا تسبح فما عليك جناح جعل الله بين لحييك دبرا
أنت تفسو إذا نطقت ومن سبح بالفسو نال إثمًا ووزرا
إن تأملته فبومة حش وإذا ما تيممته كان صقرا

واجتمع بها يومًا فقال:

عنان يا منيتى ويا سكنى أما ترينى أجول فى سككك
ملكتنى اليوم يا معذبتى فصيرينى الغداة من فككك
وعجلى ذاك وارحمى قلقى وأثبتى لى البراءة فى صككك

فقالت عنان:

لم يبق فيما قد قلت قافية يقول لها قائل سوى علكك
بلى وإن قالها فتى فطن يقولها فى قريض ذى تكك

فقال أبو نواس:

بلى فإن شئت قلت فيشلة تسكن لها الهائجات من حككك

ودخل يومًا عليها فأنشد:

إن لى أيرًا خبيثًا عارم الرأس فلوتا[1]

لو رأى فى الجو صدعا لنزا حتى يموتا

أو رآه فوق سقف[2] صاد فيه عنكبوتا

أو رآه جوف بحر خلته فى البحر حوتا

قال: فما لبثت أن قالت:

زوجوا هذا بألف ما أظن الألف قوتا

إننى أخشى عليه إن تمادى أن يموتا

بادروا ما حل بالمسكـ ـين خوفًا أن يفوتا

قبل أن يتتكس الدا ء فلا يأتى ويوتى

وقال الجماز: ألقى أبو نواس على عنان جارية الناطفى بيت شعر، وهو:

كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض عن بكاء السماء

فأجابته على المكان:

فهى كالوشى من ثياب يمان جلبتها التجار من صنعاء

---

(١) فى الأغانى ٢٢/ ٥٢١ «لونه يحكى الكميتا».

(٢) فى الأغانى «سطح».

فى الأغانى[1] عن أبى جعفر النخعى قال: كان العباس بن الأحنف يهوى جارية النطاف. فجاءنى يومًا فقال: امض بنا إلى عنان. فصرنا إليها، فرأيتها كالمهاجرة له، فجلسنا قليلاً ثم ابتدأ فقال:

قال عباس وقد أجهد من وجد شديد
ليس لى صبر على الهجر ولا لذع الصدود
لا ولا يصبر للهجر فؤاد من حديد

فقالت عنان:

من تراه كان أغنى منك عن هذا الصدود؟
بعد وصل لك منى فيه إرغام الحسود
فاتخذ للهجر إن شئت فؤادًا من حديد
ما رأيناك على ما كنت تجنى بجليد

فقال عباس:

لو تجودين لصب ... راح ذا وجد شديد[2]
وأخى جهل بما قد كا ... ن تجنى بالصدود[3]
ليس من أحدث هجرًا ... لصديق بسديد
ليس منه الموت إن لم ... تصليه ببعيد

(١) الأغانى ٢٢/ ٥٣٠.

(٢) فى الأغانى ٢٢/ ٥٣١ «أو تجودين بصفح عن أخى وجد شديد».

(٣) فى الأغانى «من صدود».

قال: فقلت للعباس: ويحك! ما هذا الأمر؟ قال: أنا جنيت على نفسى بتتايهى عليها. فلم أبرح حتى ترضيتها عليه.

وقال فى الأغانى[1]: قرأت فى بعض الكتب: دخل بعض الشعراء على عنان، فقال لها الناطفى: عابثيه[2]، فقالت:

سقيًا لبغداد لا أرى بلدًا يسكنه الساكنون يشبهها

فقال:

كأنها فضة مموهة أخلص[3] تمويهها مموهها

فقالت:

أمن وخفض[4] فما كبهجتها أرغد أرض عيشًا وأرفهها

فانقطع.

قال الصلاح الصفدى: أما بيتا عنان فإنهما منتظما المعنى، وأما بيت الشاعر فإنه أجنبى منهما.

وذكر صاحب الأغانى أن الرشيد طلب من الناطفى جاريته، فأبى أن يبيعها بأقل من مئة ألف دينار، فقال: أعطيك مئة ألف دينار على أن تأخذ الدينار سبعة دراهم، فامتنع. فأمر أن تحمل إليه. فقال لها الرشيد: إن هذا قد اعتاص على فى أمرك. فقالت: ما يمنعك أن توفيه فرضته؟ فقال: ليس

---

(١) انظر الأغانى ٢٢/ ٥٢٥، وليس فى المطبوعة «قرأت فى بعض الكتب».

(٢) فى الأغانى «عابيه».

(٣) ص «اغلط» أثبتنا ما فى الأغانى ٢٢/ ٥٢٥.

(٤) فى الأغانى «أمنًا وخصبًا».

يقنع بما أعطيه. وأمرها بالانصراف. فبلغني أن الناطفي تصدق بالثلاثين ألف درهم حين رجعت إليه، فلم تزل في قلب الرشيد حتى مات مولاها. فلما مات بعث مسرورًا الخادم فأخرجها إلى باب الكرخ، فنادى عليها بعد أن شاور الفقهاء فأشاروا ببيعها وقالوا: على الرجل دين. فبلغت مئتي ألف درهم، فجاء رجل وقال: على زيادة خمسة وعشرون ألفًا. فلكزه مسرور وقال: أتزيد على أمير المؤمنين؟ ثم بلغ بها مئتين وخمسين ألفًا. وحملها إلى خراسان.

قال: ولم يكن فيها شيء يعاب. فطلبوا لها عيبًا لئلا تصيبها العين، فأوقعوا بخنصر رجلها في ظفره شيئًا.

وقال الأصمعي[1] بعثت إلى أم جعفر أن أمير المؤمنين قد لهج بذكر عنان، فإن صرفته عنها فلك حكمك.

قال: فكنت أتوقع أن أجد للقول موضعًا فلا أجده ولا أقدم عليه هيبة له. إذ دخلت يومًا فرأيت في وجهه أثر غضب، فقلت: ما لأمير المؤمنين؟ فلعن الله من أغضبه! فقال: هذا الناطفي استعصى على ومالى في جاريته إرب غير الشعر.

فذكرت رسالة أم جعفر فقلت: أجل والله ما فيها غير الشعر، أفيسر أمير المؤمنين أن يجامع الفرزدق؟ فضحك حتى استلقى.

واتصل قولي بأم جعفر فأجزلت لي الجائزة.

وأرسلت إلى أبي نواس في أمرها فقال يهجوها:

---

(١) انظر الأغاني ٢٢/٥٢٨، والخبر هنا مختصر.

إن عنان النطاف جارية أصبح حرها للنيك ميدانا

ما يشتريها إلا ابن زانية وقلطبان يكون من كانا[1]

فبلغ الرشيد شعره فقال: أخزى الله أبا نواس وقبحه، فلقد أفسد على لذتى بما قال فيها، ومنعنى من شرائها.

فبلغ الخبر عنان فقالت فى أبى نواس:

عجبًا من حلقى يدعى أصل اللواط

فإذا صدار إلى بيت وخشف عن تواط

فالذى يحضر يرى من يلى وجه البساط

ومن شعرها ترثى مولاها النطاف أورده أبو الفرج الأصبهانى[2]:

نفسى على حسراتها موقوفة فوددت لو خرجت مع الحسرات

لو فى يدى حساب أيامى إذن لصرفتهن تعجلا لوفاتى

لا خير بعدك فى الحياة وإنما أبكى مخافة أن تطول حياتى

قال أبو الفرج: ذكر محمد بن القاسم بن مهدوية أن عنانًا خرجت إلى مصر حين أعتقت وماتت هناك.

(١) فى الأغانى ٢٢/ ٣٣١ «قلتبان» وهو القوّاد.

(٢) لم أجدها فى الأغانى فى المصدر المذكور.

٣٠

غادر جارية المهدى(*)

كانت بارعة الجمال، فبينا هى تغنيه يومًا عرض لى فكرة فتغير لونه، فسأله من حضر عن ذلك فقال: وقع فى خاطرى أننى أموت ويتزوج أخى هارون هذه غادر.

ثم إنه أمر بإحضار أخيه هارون، واستحلفه بأيمان مغلظة من الطلاق والعتاق والحج ماشيًا أنه لا يتزوجها بعده، وحلفها كذلك.

وما لبث أقل من شهر حتى مات.

فأرسل إليها هارون يخطبها، فقالت له: فكيف بيمينى ويمينك؟ فقال: أكفر عن الكل. فتزوجته، وزاد حبه لها على أخيه حتى إنها كانت تنام فتضع رأسها فى حجره فلا يتحرك حتى تنتبه.

فبينا هى ذات يوم نائمة ورأسها على ركبته انتبهت فزعة تبكى. فقال لها: ما الذى بك؟ قالت: رأيت أخاك موسى الساعة وهو يقول:

أخلفت وعدى بعدما ... جاورت سكان المقابر

ونسيتنى وحنثت فى ... أيمانك الكذب الفواجر

ونكحت عامدة أخى ... صدق الذى سماك غادر

لا يهنك الإلف الجديـ ... ـد ولا تدر عنك الدوائر

ولحقت بى قبل الصبا ... ح وصرت حيث غدوت صائر

(*) نساء الخلفاء ص ٤٥.

ولم تزل تبكي وتضطرب، وهو يقول لها: أضغاث أحلام. حتى ماتت بين يديه. فدفنها ونغصت عليه عيشه.

وكانت وفاتها سنة ثلاث وسبعين ومئة.

٣١

فريدة الكبرى(*)

كانت مولدة نشأت بالحجاز، ثم وقعت إلى الربيع، فتعلمت الغناء، ثم صارت إلى البرامكة. فلما قُتل جعفر صارت إلى الأمين، فلما قُتل تزوجت الهيثم بن سالم، فولدت له ابنه عبد الله، ثم مات عنها، فتزوجها السندى بن الحرشى، وماتت عنده.

وكان لها صنعة جيدة فى الغناء.

(*) نساء الخلفاء ص ٨١.

٣٢

فريدة الصغرى(*)

جارية الواثق كانت لعمرو بن بانة المغنى، وأهداها للواثق. وكانت من الموصوفات المحسنات.

قال محمد بن الحارث: طلبنى الواثق يومًا فسرت إليه وأدخلت إلى دار الحرم، وإلى جانبه فريدة وفى حجرها عود تغنى. فبينا أنا كذلك إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض، وتفتت عودها، ومرت تعدود وتصيح. فقلت له: ما السبب فى ذلك؟ فقال: فكرت أن جعفراً، يعنى أخاه المتوكل، يقعد هذا المقعد، وتقعد معه فريدة كما قعدت معى، فلم أطق الصبر.

فقلت: بَل يُحيى الله أمير المؤمنين، وقبلت الأرض.

فأمر بإحضارها وعانقها، وبكى، وبكت وبكيت أنا.

ثم تفرقنا، وضرب الدهر ضرباته، ومات الواثق وولى المتوكل. فإنى لفى يوم إذ طلبنى، فدخلت إلى تلك الدار بعينها والحجرة بعينها، وإذا المتوكل قاعد على سرير الواثق وفريدة إلى جانبه.

(*) نساء الخلفاء ص ١٠٠.

٣٣

فضل الشاعرة اليمامية جارية المتوكل(*)

قال ابن النجار: كانت شاعرة ماجنة من أظرف أهل زمانها. ولها أخبار ملاح مدونة.

قال أبو الفرج الأصبهانى: كانت مولدة ولدت باليمامة ونشأت بالبصرة، وكانت سمراء أديبة، فصيحة، سريعة الهاجس، مطبوعة فى الشعر، أحسن خلق الله خطا، وأفصحه كلاما، وأبلغه مخاطبة، وأثبته فى محاورة. وكانت تجلس فى مجلس المتوكل على كرسى تعارض الشعراء، فألقى عليها أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى:

قالوا: عشقت صغيرة فأجبتهم ... أشهى المطى إلى ما لم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة ... لبست[1] وحبة لؤلؤ لم تثقب

فقالت فضل مجيبة له:

إن المطية لا يلذ ركوبها ... حتى[3] تذلل بالزمام وتركب

والدر ليس بنافع أربابه[3] ... حتى يؤلف بالنظام ويثقب[4]

(*) انظر: نساء الخلفاء ٨٤؛ الأغانى ١٩/ ٢٥٧ (ط. فراج)؛ طبقات الشعراء ص ٤٢٦.

(١) فى الأغانى «نظمت».

(٢) فى الأغانى «ما لم».

(٣) فى الأغانى «أصحابه».

(٤) فى الأغانى «حتى يؤلف للنظم بمثقب».

وروى أبو الفرج[1]، عن أبى العيناء قال: لما دخلت فضل الشاعرة على المتوكل يوم أهديت قال لها: أشاعرة أنت؟ قالت: كذا يزعم من باعنى واشترانى. فضحك، وقال: أنشدينا شيئًا من شعرك. فأنشدته:

استقبل الملك إمام الهدى ... عام ثلاث وثلاثينا

[تعنى سنة ثلاث وثلاثين ومئتين من سنى الهجرة][2].

خلافة أفضت إلى جعفر ... وهو ابن سبع بعد عشرينا

إنا لنرجو يا إمام الهدى ... أن تملك الملك ثمانينا

لا قدس الله امرءًا لم يقل ... عند دعائى لك آمينا

وعن[3] أبى العباس المروزى قال: قال المتوكل لعلى بن الجهم: قل بيتًا وقل لفضل الشاعرة تجيزه. فقال على: أجيزى يا فضل:

لاذ بها يشتكى إليها ... فلم يجد عندها ملاذا

فأطرقت ثم قالت:

ولم يزل ضارعًا إليها ... تهطل أجفانه رذاذا

فعاتبوه، فزاد عشقًا ... فمات وجدا فكان ماذا؟

وعن سعيد بن حميد قال: قلت لفضل الشاعرة أجيزى:

من لمحب أحب فى صغره؟

---

(١) انظر الأغانى ١٩/ ٢٥٨.

(٢) الزيادة من الأغانى ١٩/ ٢٥٨.

(٣) انظر الأغانى ١٩/ ٢٧٠ وتتمة الخبر فيه.

فقالت:

فصار أحدوثة على كبره

فقلت:

من نظر شفه وأرقه

فقالت:

فكان مبدا هواه من نظره

لولا الأمـــانى لمات مـن كـمـــد مـــــر الليـــــالى يزيـد فى فـكره

ليس لـه مـســـعـد يســـاعـده بالـليل فى طـوله وفى قـــصـــره

قال سعيد بن حميـد: والله لو أخذ أفاضل الكتاب وكبراؤهم وأماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك.

وقال محمد بن داود بن الجراح الكاتب فى كتاب «الورقة[1]» فى أخبار شعراء المحدثين؛ فضل الشاعرة أشعر امرأة كانت فى هذا العصر.

ومن قولها فى الصحو:

قـــد بد شـــبـــهـك يا مـــولا ى يـحـــــــــدو بـالـظـلام

فـــانتـــبـــه نـقض لـبـــانا ت اعـــتناق والـتـــثـــام[2]

قـــبل أن تـفـــضـــحنـا عـــو دة أرواح الـنـيـــــــــام

ومن شعرها:

(١) ليس هذا الخبر فى الورقة المطبوع، والشعر ورد مع قصة فيه فى الأغانى ١٩/ ٢٦٥.

(٢) فى الأغانى «قم بنا نقض لبانا ت التئام والتزام».

لأكتمن الذى فى القلب من غصص[1]

حتى أموت ولم يشعر[2] بى الناس

ولا يقال شكا من كان يعشقه

إن الشكاة لمن تهوى هى الياس

ولا أبوح بشىء كنت أكتمه

عند الجليس[3] إذا ما دارت الكاس

ومن شعرها:

الصبر ينقص والبلاء يزيد والدار دانية وأنت بعيد

أشكوك أم أشكو إليك فإنه لا يستطيع سواهما المجهود

ماتت سنة ٢٥٧.

قال أسامة بن مرشد فى «أخبار النساء»: كتبت فضل الشاعرة إلى سعيد ابن حمد؛ فإن قطعت عنا عادة البر تمسكنا بعادتنا فى الشكر، وحملنا الذنب على الدهر، وإن تكن الأخرى فلم نعد الظن ولم تأت بديعًا من الأمر.

وقال[4]: بلغ فضل الشاعرة وكانت تهوى سعيد بن حميد أنه قد عشق جارية من جوارى القيان فكتبت إليه:

---

(١) فى الأغانى ١٠ : ٢١٥ (دار الكتب) «حُرق».

(٢) فى الأغانى ١٠ : ٢١٥ (دار الكتب) «يعلم».

(٣) فى الأغانى ١٠ : ٢١٥ (دار الكتب) «الجلوس».

(٤) انظر الأغانى ١٨/ ١٠٠ (ط. فراج) أخبار سعيد بن حميد.

يـا عـــــالى الـسن سيء الأدب شبت وأنت الغلام فى الطرب[1]
ويحك إن القـيـان كـالـشرك الـ ـمنصوب بين الـغرور والعطب[2]
لا يتـصـدين لـلفـقـيـر ولا يطلبن إلا مـعـادن الـذهب[3]
بينا تـشكـى هواك إذ عـــدلـت عن زفـرات الشكى إلى الطلب[4]
تـلـحـظ هـــذا وذا أو ذاك وذا لحظ مـحب بعين مكـتـسب[5]

قال: وجمع فضل الشاعرة وسعيد بن حميد مجلس، وكل منها محب صاحبه، فطمح نظرها إلى بعض الحاضرين وأقبلت عليه، فعتب عليها سعيد ولامها، فكتبت إليه فى المجلس:

يـا من أطـلت تـفـــرسى فى وجـــهـــه وتنفـــسى
الويل[6] من مـــتـــدلل يزهو[7] بقـــتل الأنـفس
هبـنى أســأت ومـا أســأ ت بلى كـإقـرار المسى[8]
أحلـفـــتنى أن لا أســـا رق نظـرة فى مـــجلسى

(١) فى طبقات الشعراء ص ٤٢٦:

يا حسن الوجه سيئ الأدب شبت وأنت الغلام فى الأدب

(٢) فى طبقات الشعراء «بين الغرور والكذب».

(٣) فى طبقات الشعراء «ولا يتبعن إلا مواضع الذهب».

(٤) فى طبقات الشعراء ص ٤٢٧:

«بينا تشكّى إليك إذ خرجت من لحظات الشكوى إلى الطلب».

(٥) فى الأغانى ١٨/ ١٠٠ «لحظ محب وفعل مكتسب».

(٦) فى الأغانى، المصدر السابق: «آفديك».

(٧) فى الأغانى، المصدر السابق: «يُزهى». أصح.

(٨) فى الأغانى، المصدر السابق: «بل أقرُّ أنا المسى».

فنظرت نظرة مخطئ اتبعتها بتفرسى

ونسيت أنى قد حلفـ ـت فما عقوبة من نسى؟

فقام سعيد فقبل رأسها وقال: لا عقوبة عليه، بل تحتمل هفوته ونتجاوز عن إساءته.

٣٤

قاسم جارية ابن طرخان

قال أسامة بن مرشد فى كتاب «أخبار النساء»: دخل العباس بن الأحنف على قاسم جارية ابن طرخان، وكانت شاعرة، فقال لها: أجيزى هذا البيت:

أهدى له أحبابه أترجة فبكى، وأشفق من عيافة زاجر

فقالت وأسرعت:

متطيراً منها أتته وطعمها لونان باطنه خلاف الظاهر

٣٥

قبيحة الرومية(*)

جارية المتوكل، أم المعتز بالله

كانت عاقلة فاضلة. ولما قتل ولدها المعتز أخذت أموالها ونعمتها، وخرجت إلى مكة فأقامت بها مدة، ثم عادت إلى سامرا. وكانت مكينة عند المتوكل، ولها معه وقائع. منها: أنه افتصد يومًا، فأهدت إليه جارية معها جام فيه مكتوب:

قطعت عرقا تبتغى صحة ... ألبسك الله به العافية

فاشرب بهذا الجام يا سيدى ... مستمتعًا من هذه الجارية

واجعل لمن أهداكها حصة ... تظى بها فى الليلة الآتية

وقال المتوكل فيها:

إنسانة كالشمس مجدولة ... أحسبها ليست من الأنس

ملبحة الشكل غلامية ... أحسن من بدر ومن شمس

توفيت بسر من رأى فى ربيع الأول سنة أربع وستين ومئتين.

(*) أعلام النساء ٤ - ١٨٤.

٣٦

قرة العين(*)

وتدعى أرجوان، مـولاة الأمير أبو العباس ابن الإمـام القادر، وأم ولده الخليفة المقتدى(١).

أدركت خلافـة ولدها، وتوفى وهى فى الحيـاة، ورأت ولده المسترشد خليفة، ثم رأت للمسترشد عدة من الأولاد. وعاشت حتى رأت البطن الرابع من أولادها. وكانت صالحة كثيـرة البر والمعروف، وحجت مرارًا، وبنت بمكة رباطًا وآثارًا حسنة وبنت ببغداد رباطًا، وتوفيت سنة اثنتى عشرة وخمس مئة.

(*) الكامل لابن الأثير (بولاق) ١٠ - ٨٥.

(١) توفى المقتدى سنة ٤٨٧ وخلفه ابنه المستظهر (تاريخ الخلفاء ص ٤٢٦).

٣٧

قرة العين المعتصمية(*)

قال ابن النجـار: روى عنها القاضى أبو بكر أحمـد بن كامل بن خلف ابن شجرة أنها أنشدته:

أنظـر إلى بـعين الـصـــــفح عـن زللـى

لا تتـــــركنـى من أمـــــرى علـى وجل

روحى وروحك مـــقـــرونان فـى قـــرن

فكـيف أهجـــر من فى هـجـــره أجـلى؟

(*) نساء الخلفاء ٨١.

٣٨

قلم الصالحية(*)

كانت جارية مولدة صفراء حلوة، حسنة الغناء والضرب، حاذقة، أخذت عن إبراهيم وابنه إسحاق ويحيى المكى، وكانت لصالح بن عبد الوهاب كاتب صالح بن الرشيد اشتراها. سمع الواثق لحنًا لها فسأل عن ذلك فقيل له: هو لقلم الصالحية. فكتب إلى ابن الزيات بإشخاص صالح وجاريته، فأشخصهما، فغنت بين يديه، فأعجبته، فاشتراها منه بعشرة آلاف دينار. فقبضها واشترى بها ضيعة، ولزم بيته واستغنى عن خدمة السلطان.

(*) أعلام النساء ٤ - ٢١٨.

٣٩

ماريةُ[1] جارية الرشيد

فى «تاريخ» الصلاح الصفدى: طلب يحيى بن خالد البرمكى العباس ابن الأحنف يومًا فقال له: إن مارية هى الغالبة على أمير المؤمنين، وإنه جرى بينهما عتب، فهى بعزة دالة المعشوق تأبى أن تعتذر، وهو بعزة الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك، وقد رمت الأمر وهو أجدى أن تستفزه الصبابة، فقل شعرًا تسهل به عليه هذه القضية، وأعطاه دواة وقرطاسًا، وطلبه الرشيد فتوجه إليه، ونظم العباس بن الأحنف قوله:

العاشقان كلاهما متغضب ... وكلاهما مستوحد متجنب

صدت مغاضبة وصد مغاضبا ... وكلاهما مما يعالج متعب

راجع أحبتك الذين هجرتهم ... إن المتيم قل ما يتجنب

أن التجنب إن تطاول منكما ... دب السلو له فعز المطلب

ثم قال لأحد الرسل: أبلغ الوزير أنى قد قلت أربعة أبيات، فإن كان بها مقنع وجهت بها. فعاد الرسول وقال: هاتها، ففى أقل منها مقنع. فكتب الأبيات وكتب تحتها أيضًا:

لابد للعاشق من وقفة ... تكون بين الوصل والصرم

حتى إذا الهجر تمادى به ... راجع من يهوى على رغم

---

(١) كذا فى الأصل. والذى فى المصادر «ماردة» وهو الأصح. وانظر أعلام النساء ٥ - ٤.

فدفع الرقعة يحيى إلى الرشيد. فقال: والله ما رأيت أشبه بما نحن فيه من هذا الشعر: والله لكأنى قصدت به.

فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين أنت المقصود به.

فقال الرشيد: يا غلام هات نعلى، فإنى والله أراجعها على رغم. فنهض، وأنهضه السرور أن يأمر للعباس بشيء.

ثم إن مارية لما علمت بمجيء الرشيد إيها قامت فتلقته، وقالت: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟

فأعطاها الشعر، وقال: هذا الذى جاء بى إليك.

قالت: فمن قاله؟

قال: العباس بن الأحنف.

قالت: فبم كوفيء؟

قال: ما فعلت بعد شيئًا.

فقالت: والله لا أجلس حتى يستوفى؟

فأمر له بمال كثير، وأمرت هى له بدون ذلك، وأمر له يحيى بدون ما أمرت. وحمل على برذون.

ثم قال له الوزير يحيى: من تمام النعمة أن لا تخرج من الدار حتى نؤثل لك بهذا المال ضيعة. فاشترى له ضياعا بجملة من ذلك المال ودفع له بقية المال.

٤٠

متيم الهشامية(*)

ذكرها الأصبهانى فى «الأغانى» وقال: كانت صفراء مولدة من مولدات البصرة، وبها نشأت وتأدبت وغنت، وأخذت عن إسحاق وعن أبيه قبله وعن طبقتهما، فاشتراها على بن هشام بعد ذلك، وكانت من أحسن النساء وجهًا وغناءً، وكانت تقول الشعر ليس مما يستجاد ولكنه مستحسن من قبلها.

قال صاحب الأغانى(١): أول من عقد من النساء فى طرف الإزار زنارًا أو خيط إبريسم، ثم تجعله فى رأسها فيثبت الإزار ولا يتحرك ولا يزول متيم.

قال: ويقال إنه لم...(٢) من إسحاق بعد إسحاق أصنع بغناء من علويه وعبد الله بن العباس ومتيم.

قال ابن المعتز: حُدثت أن المأمون كان سأل على بن هشام أن يهب له متيمًا. وكان بغنائها يعجب، فدافعه عن ذلك إلى أن حبلت ويئس المأمون منها. ويقال إن ذلك أول ما اضطعنه عليه.

وقال بعضهم: مات إبراهيم بن المهدى ومتيم وبذل فى أيام يسيرة قليلة العدد، فقال بعض المنددين: يا بابى فى الجنة عرس! قد ذهبوا بهؤلاء المغنين المحسنين إليه.

(*) أعلام النساء ٥ - ٢١.

(١) انظر الأغانى ٧ - ٣٠٢ (دار الكتب).

(٢) بياض فى الأصل.

وقيل إن جارية للمعتصم قالت هذا فنهاها عن هذا الكلام. فلما كان بعد أيام وقع حريق فى حجرة هذه القائلة فاحترق كل ما تملكه. فدخلت على المعتصم باكية، وقالت: يا سيدى احترق كل ما أملك. فقال: لا تجزعى فإنه قد استعاره أصحاب ذلك العرس.

٤١

محبوبة جارية المتوكل(*)

قال أبو الفرج الأصبهانى: كانت مولدة من مولدات البصرة، شاعرة سريعة مطبوعة، مغنية متقدمة فى الحالين على طبقتها، وكانت حسنة الوجه حسنة الغناء، ملكها المتوكل وهى بكر، أهداها إليه عُبيد الله بن طاهر فى جملة أربع مئة جارية، فتقدمتهن جميعًا عنده، فلما قتل تسلاه جميع جواريه غيرها، فإنها لم تزل حزينة هاجرة لكل لذة حتى ماتت. ولها فيه مرات كثيرة.

قال على بن الجهم(١): كنت يومًا بحضرة المتوكل، إذ دفع إلى محبوبة تفاحة مغلفة بغالية، فقبلتها وانصرفت عن حضرته، ثم خرجت جارية لها ومعها رقعة فدفعتها إلى المتوكل فقرأها وضحك، ثم رمى بالرقعة إلينا فإذا فيها:

يا طيب تفاحة خلوت بها ... تشعل نار الهوى على كبدى

أبكى إليها واشتكى دنفى ... وما أاقى من شدة الكمد

لو أن تفاحة بكت لبكت ... من رحمتى هذه التى بيدى

إن كنت لا تعلمين ما لقيت ... نفسى فمصداق ذاك فى جسدى(٢)

فإن تأملته علمت بأن ... ليس لخلق عليه من جلد

(*) نساء الخلفاء ص ٩٢؛ ذم الهوى لابن الجوزى ص ٣٤٣.

(١) انظر الأغانى ٢٢/ ٢٠٢.

(٢) فى الأغانى (المصدر السابق) «نفسى من الجهد فارحمى جسدى».

قال: فما بقى أحد إلا استظرفها واستملح الأبيات.

وقال على بن يحيى المنجم، قال المتوكل لعلى بن الجهم: إنى دخلت إلى قبيحة الساعة فوجدتها قد كتبت اسمى على خدها بغالية، فوالله ما رأيت شيئًا أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخد، فقل فى هذا شيئًا[1].

قال: وكانت محبوبة جالسة من وراء الستارة تسمع الكلام، فإلى أن دُعى لعلى بالدواة والدرج وأخذ يفكر قالت على البديهة:

وكاتبه بالمسك على[2] الخد جعفرا

بنفسى مخط المسك من حيث أثرا[3]

لئن كتبت فى الخد سطرًا بكفها[4]

لقد أودعت قلبى من الحب[5] أسطرا

فيا من لمملوك لملك يمينه

مطيع له فيما أسر وأظهرا

ويا من مناها فى السريرة جعفر

سقى الله من سُقيا ثناياك جعفرا

---

(١) ورد هذا الخبر فى الأغانى ١٩/ ٢٦٨ عن أحمد بن أبى فنن، ونسب الشعر فيه إلى فضل الشاعرة. ثم عقب أبو الفرج قائلاً «وقد رويت الأبيات الأولى لمحبوبة شاعرة المتوكل».

(٢) فى الأغانى ٢٢/ ٢٠٢ «فى الخد»، والتتمة كما عندنا.

(٣) فى الأغانى ٢٢/ ٢٠٢ و١٩/ ٢٦٨ «بنفسى سواد المسك...».

(٤) فى الأغانى «لئن أثرت بالمسك سطرًا بخدها».

(٥) فى الأغانى «من الحزن».

قال: وبقى على بن الجهم واجمًا لا ينطق بحرف.

وقال على بن الجهم[1]: غضب المتوكل على محبوبة، فجئته يومًا، فحدثنى أنه رأى فى النوم أنها صالحته، ودعا بخادم فقال: اذهب فاعرف لى خبرها وأى شىء تصنع. فرجع فأعلمه أنها جالسة تغنى. فقال لى: أما ترى إلى هذه تغنى وأنا عليها غضبان؟ ثم قال لى: قم معى حتى نسمع بأى شىء تغنى. فقمنا حتى انتهينا إلى حجرتها، فإذا هى تغنى:

أدور فى القصر لا أرى أحدًا ... أشكو إليه ولا يكلمنى

حتى كأنى ركبت معصية ... ليست لها توبة تخلصنى

فهل لنا شافعٌ إلى ملك ... قد زارنى فى الكرى فصالحنى

حتى إذا ما الصباح لاح لنا ... عاد إلى هجره فصارمنى

قال: فطرب المتوكل، فأحست به [فخرجت إليه] وأعلمته أنها رأته فى النوم وقد جاءها فصالحها، فقالت هذا الشعر وغنت فيه.

وقال على بن يحيى [المنجم][2]: إن جوارى المنزل تفرقن بعد موته، فصار إلى وصيف عدة منهن فيهن محبوبة. فاصطبح يومًا وأمر بإحضارهن، فحضرن وعليهن الثياب الفاخرة الملونة وقد تزين وتعطرن، سوى محبوبة فإنها جاءت مرهاء متسلبة[3]، عليها ثياب بياض غير فاخرة. فغنى الجوارى وطرب. ثم قال لمحبوبة غنى فأخذت العود وغنت وهى تبكى:

---

(١) انظر الأغانى ٢٢/ ٢٠٤، والخبر فيه أطول.

(٢) انظر الأغانى ٢٢/ ٢٠٣، وذم الهوى ص ٢٤٣.

(٣) أى لبست السلاب، وهو صوب الحداد والحزن.

أى عـــــيش يطيب لى لا أرى فـيـه جـعـفـر
ملكا قـــد رأتع عـنـيـه قـتـيـلا[1] مـعـفـرا
كل من كـــان ذا ســقـــا م وحـــزن فـقـــد برا[2]
غـيـر مـحـبـوبة التى لو ترى الموت يشـتـرى
لا اشـتـرته بما حـوته يداها لتـقـبـرا[3]
إن مـوت الحـزين[4] أطـ ـيب من أن يعـمـرا

قال: فاشتد ذلك على وصيف وهم بقتلها، فاستوهبها منه بُغا، وكان حاضرًا. فوهبه له، فأعتقها وأمرها بأن تقيم حيث أحبت، فخرجت إلى بغداد فأقامت بها وأخملت نفسها حتى ماتت.

(١) فى ذم الهوى ص ٣٤٣ «جريحًا».
(٢) فى ذك الهوى ص ٣٤٣ «كل من كان هائمًا وسقيمًا فقد برا».
(٣) فى نساء الخلفاء ص ٩٨ «لاشترته بملكها»؛ وفى ذم الهوى «لاشترته بما حوته جميعًا لتُقبرا»، وفى الأغانى ٢٢/ ٢٠٤ «لاشترته بملكها كل هذا لتقبرا».
(٤) فى ذم الهوى والأغانى ٢٢/ ٢٠٤ «الكئيب».

٤٢

ممنعة

قال أسامة بن مرشد فى «أخبار النساء»، قال يزيد بن حوراء: كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش فكانت تمر بى جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلم منها الغناء. فقلت لها يومًا: أفهمى قولى وردى جواب.

فقالت: هات ما عندك.

فقلت: ما اسمك؟

قالت: ممنعة. فأطرقت وملكتنى الحيرة من اسمها، ثم قلت:

ليهنك منى إننى لست مغشيا هواك إلى غيرى ولو مت من كربى

ولا مانحًا خلقًا سواك محبة ولا قائلاً ما عشت من حبكم حبى

قال: فنظرت إلى طويلا، ثم قالت: أنشدك الله أعن فرط محبة أم عن غلمة؟

فقلت: لا والله، إلا عن فرط محبة. فقالت:

فوالله رب الناس لا خنتك الهوى ولا زلت مخصوص المحبة من قلبى

وثق بى فإنى قد وثقت ولا تكن على غير ما أظهرت لى يا أخا حبى

قال: فوالله لكأنما أضرمت نارًا فى قلبى. فكانت تلقانى فى الطريق فتحدثنى، فأنفرج بها، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء، فكانت تكاتبنى وتلاطفنى دهرًا طويلاً.

٤٣

مؤنسة جارية المأمون(*)

سمع صوتًا فى بعض مقاصيره فقال للخازم: انظر ما هذا؟ فذهب ورجع فقال: مؤنسة تضرب وماجنة ترقص. فجاء المأمون فسمعها تقول:

ألا يا قصر كم تحوى من نيك ومن غُلمه

متى يرفع طيان ضعيفٌ مئتى ثُلمه

فدخل عليها فجامعها. وقال: ما كفاك أن جعلتنى طيانا حتى جعلتنى ضعيفا. فقال: لولا ذاك ما أكملت هذا الرغيف على جوعى.

(*) نساء الخلفاء ٧٩.

٤٤

نبت جارية المعتمد على الله(*)

قال أبو الفرج الأصبهانى. كانت مغنية حسنة الغناء، شاعرة سريعة الهاجس. عُرضت على المعتمد فامتحنها فى الغناء والكتابة، فرضى بما ظهر له من أمرها، ثم قال لابن حمدون قارضها، فقال:

وهبت نفسى للهوى.

فقالت غير متوقفة: فجار لما أن ملك.

فقال: فصرت عبدًا خاضعًا.

فقالت: يسلك بى حيث سلك.

فأمر المعتمد بشرائها، فاشتريت بثلاثين ألف درهم.

وقال أحمد بن أبى طاهر: دخلت يومًا على نبت فقلت لها: قد قلت مصراعًا فأجيزيه.

فقالت: قل. فقلب: **يا نبت حسنك يُعشى بهجة القمر**

فقالت: **قد كاد حسنك أن يبتزنى بصرى**

فتوقفت أفكر، فسبقتنى فقال:

وطيب نشرك مثل المسك قد نسمت ريا الرياض عليه فى دجى السحر

فزادت فكرتى فقلت:

فهل لنا فيك حظ من مواصلة أولا فإنى راض منك بالنظر

(*) نساء الخلفاء ١٠١.

٤٥

نسيم(*) جارية أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح

قالت ترثي مولاها:

ولو أن مـيـتًـا هـابه الموت قـبله ... لما جـاءه المقـدار وهو هـيـوب

ولو أن حـيًـا قـبله صـانه الردى ... إذا لم يكن لـلأرض فـيـه نصـيب

نفـسى فـداؤك لو بالناس كـلهم ... مـا بـى عليك تمـنوا أنهم مـاتوا

وللورى مـوتة فى الدهر واحـدة ... ولى من الـهم والأحـزان مـوتان

(*) أعلام النساء ٥ - ١٧٥.

(*) نساء الخلفاء ص ٥٤.

٤٦

هيلانة(*) جارية الرشيد

كان شديد الحب لها، ولما ماتت وجد عليها وجدا شديداً وقال فيه:

قد قلت لما ضمنوك الثرى ... وجالت الحسرة فى صدرى

«اذهب فلا والله لا سرنى ... بعدك شىء آخر الدهر»

وقال العباس بن الأحنف:

يا من تباشرت القبور بموتها ... قصد الزمان مساءتى فرماك

أبغى الأنيس فلا أرى لى مؤنسًا ... إلا التردد حيث كنت أراك

ملك بكاك وطال بعدك حزنه ... لو يستطيع بملكه لفداك

يحمى الفؤاد عن النساء حفيظة ... كيلا يحل حمى الفؤاد سواك

فأعطاه الرشيد أربعين ألفًا وقال: لو زدت لزدناك. وكانت وفاتها سنة ثلاث وسبعين [ومئة].

هند(*) جارية أبى محمد بن مسلمة الشاطبى الكاتب

قال البدر النابلسى فى كتاب «التذييل»، وابن مكتوم فى «تذكرته»: كانت أديبة شاعرة، كتب إليها أبو عامر بن ينق يدعوها للحضور:

يا هند هل لك فى زيارة فتية ... نبذوا المحارم غير شرب السلسل

سمعوا البلابل قد شدت[1] فتذكروا ... نغمات عودك فى الثقيل الأول

فكتبت إليه على ظهر رقعته:

يا سيداً حاز العلا عن سادة ... شم الأنواف من الطراز الأول

حسبى من الإسراع نحوك أننى ... كنت الجواب مع الرسول المقبل

قال على بن الجهم: إنى لعند المتوكل يومًا والفتح بن خاقان حاضر إذ قيل له فلان نخاس. فأذن له، فدخل ومعه وصيفة. فقال له المتوكل: ما صناعة هذه؟

قال: تقرأ بالألحان.

فقال الفتح: اقرأى لنا خمس آيات. فاندفعت تقول:

قد جاء نصر الله والفتح ... وشق عنا الظلمة الصبح

خدين ملك ورجى دولة ... وهمه الإشفاق والنصح

وكل باب للندى مغلق ... فإنما مفتاحه الفتح

(*) انظر المقتضب من تحفة القادم ص ١٦٦.

(١) فى الأصل «قد شدوا» والتصحيح من المقتضب.

فأمره المتوكل بشرائها. وكانت أحظى جوارى الفتح.

لما قتل رئته بهذه الأبيات:

قـــد قلـت للمـــوت حين نـازله والموت مـــقـــدامـــة علـى البـــهم

لما تـبـــيـنت مـــا فـــعـلت إذن قـــــرعت سنـا عليـــــه من الـندم

فـــاذهب بمن شـــئت إذ ذهـبت به مـــا بعـــد فـتـح للمـــوت من ألم

ولم تزل تبكيه وتنوح عليه حتى ماتت.

آخر الكتاب

فهرس أسماء الجوارى

اسم الجارية	الصفحة
١ - إسحاق الأندلسية	٥
٢ - بنان جارية المتوكل	٧
٣ - بدعة الكبيرة	٨
٤ - بنفشا الرومية مولاة المستضىء بالله	١١
٥ - تيماء جارية أبى العباس خزيمة بن خازم النهشلى	١٢
٦ - تتريف جارية المأمون	١٣
٧ - ثواب	١٤
٨ - حسناء جارية يحيى بن خالد البرمكى	١٥
٩ - حيش مولاة الأحنف	١٦
١٠ - حسن جارية الإمام أحمد بن حنبل	١٧
١١ - خزامى جارية المقين	١٨
١٢ - خليدة السوداء	١٩
١٣ - خنساء جارية هشام النحوى	٢١
١٤ - الخيزران الجرشية	٢٢
١٥ - دستان	٢٣
١٦ - دقاق جارية يحيى بن ربيع	٢٤
١٧ - ذلفاء جارية ابن طرخان	٢٥
١٨ - دنانير جارية يحيى بن خالد البرمكى	٢٦
١٩ - زرقاء جارية ابن رامين	٢٨

اسم الجارية	الصفحة
٢٠ – زمرد التركية أم الخليفة الناصر	٢٩
٢١ – سامر	٣٠
٢٢ – سكن جارية محمود الوراق	٣١
٢٣ – شارية المغنية	٣٣
٢٤ – شجاع أم الخليفة المتوكل	٣٤
٢٥ – شجر الدر	٣٥
٢٦ – ضعيفة	٣٦
٢٧ – طاوس أم الخليفة المستنجد	٣٧
٢٨ – عريب المأمونية	٣٨
٢٩ – عنان جارية الناطفى	٣٩
٣٠ – غادر جارية المهدى	٤٧
٣١ – فريدة الكبرى	٤٩
٣٢ – فريدة الصغرى	٥٠
٣٣ – فضل الشاعرة اليمامية جارية المتوكل	٥١
٣٤ – قاسم جارية ابن طرخان	٥٧
٣٥ – قبيحة الرومية جارية المتوكل، أم المعتز بالله	٥٨
٣٦ – قرة العين	٥٩
٣٧ – قرة العين المعتصمية	٦٠
٣٨ – قلم الصالحية	٦١
٣٩ – مارية جارية الرشيد	٦٢

اسم الجارية	الصفحة
٤٠ - متيم الهشامية	٦٤
٤١ - محبوبة جارية المتوكل	٦٦
٤٢ - ممنعة	٧٠
٤٣ - مؤنسة جارية المأمون	٧١
٤٤ - نبت جارية المعتمد على الله	٧٢
٤٥ - نسيم جارية أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح	٧٣
٤٦ - هيلانة جارية الرشيد	٧٤
٤٧ - هند جارية أبى محمد بن مسلمة الشاطبى الكاتب	٧٥